

بيانٌ من أجل يقظةٍ سوريّا

تحرير النفس من ظلّ الطاغية

تمهيد

لستين عاماً، علمنا نظاماً مستبِّداً الخوف، ودرّينا على الانقسام، وأقنعنا أن الفضاء العام ملكٌ له لا لنا. ولأربعة عشر عاماً، سال الدم في شوارعنا. لكن قبل عام واحد، انكسرت السلاسل و هرب الأسد. ولكن، نقف اليوم أحراً بالقانون، أسرى بالعادات.

غادر الطاغية القصر، لكن عقليته ما زالت تسكن شوارعنا. تسكن في دخان السيجارة الذي نزفره في وجه طفل، في موقف سيارة نحتله لأنفسنا فنغلق طريق جارٍ، في رشوة نبرّرها، وقمامنة نتجاهلها، وجار نخذه. تسكن في بلادتنا، في إلقاء اللوم، في رفضنا التغيير.

هذه لحظتنا لختار غير ذلك.

لا لأننا أشرار، بل لأننا بشر نستحق أفضل مما كنا عليه. هذا البيان مِرَأةٌ تعكس الحال وخارطةٌ تبين الطريق. يسألني: ماذا عليّ أن أُسقِط؟ من عليّ أن أكون؟ وماذا يعني أن أكون سوريّاً حقاً؟ لا متحرّراً من الطاغية فقط، بل من ظله الساكن في داخلي؟

مرتكزات اليقظة

1. أستعيد الأمانة في الأماكن العامة و المشتركة

مررت بجانب القمامنة في الشارع وتجاهلتها. أوقفت سيارتي على مساحتين لأنني مستعجل، فضيّقت على غيري الطريق. رميت عقب سيجارة في حديقة عامة. تركت كوبى الورقي على حافة سور. فهل سألت نفسك يوماً: من هذا المكان؟

لسنوات طويلة، علمنا النظام أن الأماكن العامة ملكٌ له، أماكن سلطة ومراقبة وسيطرة. تعلمنا أن نراها أرضاً معادية، لا بيتاً مشتركاً. لكن هذه كذبة لم نعد مضطرين لتصديقها.

الأمانة تبدأ بالاختيارات الصغيرة. حين أتعامل مع الشارع، الحديقة، مدخل البناء، كما لو أنه يخص عائلتي، فـأنا أقول: أنا مسؤول. هذا لي، وأنا أحمي،

أن أمشي خطوات إضافية بدل أن أركن بتهاه. أن أحمل قمامتي بدل أن ألقاها. هذه ليست تفاصيل تافهة. هذه أفعال ثورية.

تأمل

هل ما زلت غافلاً عن الأذى الذي تسببه اختياراتي الصغيرة؟
هل أملك الشجاعة لأشعر بهذا الوعي، حتى لو كان مؤلماً؟

الأساس الإسلامي

«خيركم، خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي» (الترمذي).
«المسلم من سلم المسلمين من لسانه ويده» (الشیخین).

2. أحمي الضعفاء من تبعات اختياراتي

دخلتُ في غرفة أو مصعد يتنفس فيها أطفال أو امرأة حامل أو مسن، أو مريض ربو، دون تفكير. قلت لنفسي: *هذا جسدي، وهذا خياري.*. لكن خياري تحول إلى أذى لغيري.

هذه هي منطقة النظام البائد: إرادتي، متعتي، حاجتي. بعض النظر عن ثمنها على الآخرين. لستين عاماً، فعل الأقوياء المتسلطون ما شاؤوا، ودفعوا باقون الشمن دماً ومعاناة.

لن أعيد إنتاج هذا المنطق في تفاصيل حياتي. الرحمة تعني السؤال قبل الفعل: من سيتأذى؟ هل سيسبب هذا معاناة؟ الطفل لا يختار الهواء الذي يتنفسه. المسن لا يملك أن يطلب مني التوقف. الحامل لا تستطيع حماية جنينها من دخاني. لكنني أستطيع أن أختار حمايتهم.

هذا ليس قمعاً للحربيات. هذا ولادة ضمير يعرف أن حرتي لا تكون حقيقة إذا سُرقت من حرية غيري.

تأمل

حين أُسيء لمكانٍ مشترك، أليس هذا إنكاراً لاتتمانئي إلى هذه الأرض؟
كيف سيتغير سلوكي لو تعاملت مع كل مساحة عامة كأنها بيت جاري؟

الأساس الإسلامي

«لا يدخلُ الجنةَ مَنْ لَا يَأْمَنُ جَارَهُ بِوَأْقَهُ» (مسلم).
ويشمل هذا الغرباء أيضاً، فصحتهم ومتلكاتهم لا تقل شأنها عن صحتنا ومتلكاتنا.

3. أستعيد كرامتي، ولا أنتقص من كرامتك

عقود الخوف علمتنا الانكماش. اعتذرنا عن وجودنا. رأينا أنفسنا عبيداً لا مواطنين. وفي هذا التصاغر المكتسب، عوضه بعضاً بالقسوة: ننحني للأقوياء، ونتحجّر على الضعفاء.

لكن الكرامة لا يمنحها طاغية، ولا تُسحب بقرار.
هي متصلة في كل إنسان: عامل النظافة، الأرملة، النازح، العامل، الطفل، وفيّ أنا أيضاً.

لن أنحنّي لأحد. ولن أطلب منك أن تتحنّن لي.
لن أهين عامل خدمة لأنني أستطيع. لن أتكلّم بقسوة مع من لا يملك سلطة.
ولن أستخدم منصبي أو شهادتي أو مالي أو جاهي أو علاقاتي لإذلال إنسان.
هذا ليس ضعفاً. هذا قوة. هكذا يتصرف الأحرار.

تأمل

هل أتعامل مع الحراس كما أتعامل مع المدير؟
مع العامل كما مع صاحب المنصب؟
هل ما زلت أقيّم الناس بالمرتبة لا بالأخلاق؟

الأساس الإسلامي

«إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْتَأْكُمْ» (الحجرات: 13)
فالقيمة الحقيقة تُقاس بالقوى، لا بالسلطة

4. أُسهم في الحلول، لا في تعقيد المشاكل

لَعْنُ الْحُكُومَةِ بِسَبَبِ الْحُفْرِ فِي الشَّوَّارِعِ. شَتَّمَتِ النَّظَامَ بِسَبَبِ الْفَسَادِ. وَانْتَظَرْتُهُمْ لِيُصْلِحُوهَا. وَأَشَاءَ الانتِظَارُ، رَمِيَتِ الْقَمَامَةُ. وَأَشَاءَ الشَّكْوَى، دَفَعَتِ رِشْوَةً. وَأَشَاءَ الْغَضْبَ، لَمْ أَضْفِ إِلَّا سُمًّاً جَدِيدًا.

الحقيقة مؤللة وبسيطة:
الدولة نحن. الشارع نحن. الفساد نحن.

نعم، هناك مؤسسات تبني، وقوانين تكتب، وأنظمة تُصلح.
لكن لا يحق لي أن أشتكي من الفساد وأنا أُبرِرُ رشوة صغيرة.
ولا أن ألوم النظام وأنا لا أغيّر سلوكِي.

النظام عاش على سلبيتنا. أقتنعنا أننا عاجزون. أدميَّنا اللوم لأنَّه يُعْفِينَا من المسؤولية. لكن الخطأ لم يعد موجودًا. فما حجتنا؟

أين أستطيع أن أُسهم اليوم؟ كيف أُقلل المشكلة بدل أن أُصْخِّمُها؟
 فعل صغير واحد، تنظيف زاوية، دفع حق، الإبلاغ عن غش، تعليم طفل احترام المكان، أقوى من ألف شكوى.

تأمل

ما الذي ما زلتُ ألوم بدل أن أغيّر؟

أين أستطيع أن أخرج من المشكلة وأصير جزءاً من الحل؟

الأساس الإسلامي

«كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْؤُلٌ عَنْ رِعْيَتِهِ» (البخاري).
المسؤولية الآن، لا حين يكتمل النظام. و المسؤول ليس VIP
كما روج النظام البائد، بل أنه مسؤول يوم العرض.

5. أتحرّى الحقيقة وأرفض الشائعات

في زمن الخوف والاستبداد، تعلمنا تصديق الإشاعات، ونقل الكلام بلا تحقق، أو التسرع بالحكم على الآخرين. هذا ليس براءة؛ بل استمرار للظلال التي تركها الطاغية في عقولنا.

سأتحرّى الحقيقة قبل أن أصدق أو أنشر أي خبر.
سأسأل، أبحث، أستمع، وأنفكِّر قبل الحكم.
لن أسمح للشائعات أن تفرق بيني وبين جاري، أو أن تسيطر على قراراتي.

تأمل

متى كانت آخر مرة نقلت فيها خبراً بلا تحقق؟
كيف يمكن أن أكون مصدراً للحق، لا للفتنة؟

الأساس الإسلامي

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصْبِيُوا
قَوْمًا بِجَهَاهَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا نَادِمِينَ» (الحجرات:6)
فما بالكم عندما يكون الفاسق أمماً تداعت علينا تداعى الأكلة
إلى قصتها؟

6. اكسر حلقة اللوم وأستعيد قدرتي

لقد لُمْتُ والدي على تربيتي. ولُمْتُ الحكومة على قلة الفرص. ولُمْتُ "المجتمع" على إخفاقاتي. وفي اللوم، سُلِّمت قوتي للأخرين. طالما انتظرت تغييرًا من أحد، بقيت ضحية. لكتني اليوم لم أعد ضحية. أنا حرّ. هذا لا يعني أن النظام عادل. إنه ليس كذلك. ولا يعني أن العقبات اختفت، لم ولن. الدنيا دار امتحان و النجاح منوط بالعمل لا بالنتيجة. يعني: حتى ضمن قيود حقيقة، لدى خيارات. أستطيع أن أختار كيف أتعامل مع الناس. أستطيع أن أختار الصدق. أستطيع أن أختار احترام المكان المشترك. أستطيع أن أختار النمو، التعلم، أن أكون أفضل من الأمس. النظام أبقيانا صغارًا بإيقاعنا أنتا بلا قدرة. ولا زلتنا نحمل ذلك الجرح. الكثير منا يتحرك في العالم كما لو كان عاجراً. لكتنا لسنا كذلك. سأتوقف عن انتظار الإذن لكون صالحًا. سأتوقف عن انتظار النظام المثالى لكونه لطيفاً. سأبدأ الآن، بما لدى، حيث أنا.

تأمل

هل ما زلت ألعب دور الضحية بدل استعادة قوتي؟
ما الفعل الصغير الذي يمكنني فعله اليوم ليثبت لنفسي أنني
لست عاجراً؟

الأساس الإسلامي

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ (الرعد: 11)
التغيير يبدأ من الداخل. يبدأ بي.
الحق مسؤولية، والبحث عنه واجب؛ والكلمة التي تُقال بلا
تحقق قد تُدمر ثقة المجتمع.

7. الشعور مرة أخرى، حتى لو كان مؤلماً

علمتنا الصدمة ألا نشعر. تعلمنا البقاء عبر الانغلاق. أصبح الخدر (الطنash) درغاً. توقفنا عن البكاء، عن الغضب على الظلم، عن الاعتراض. لأن الشعور كان مؤلماً. لكن الخدر لم يعد بقاءً. إنه قسوة. تجعلنا نتجاهل معاناة من حولنا. نجتاز طفلاً بلا مأوى دون أن نراه. ندخن قرب امرأة حامل بلا شعور بالذنب. نتغاضى عن الفساد لأننا تعبنا من الاعتراض. الخدر هو استمرار نظام الطاغية داخلنا. سأشعر مجدداً. سأحزن على ما فقد، الدماء، السنوات، والأسر المزقة. سأسمح لذلك الحزن أن يوقدني لا أن يشنّني. سأشعر بالرحمة تجاه غريب. سأغضب على الظلم. سأفرح بلطفي صغير. سأتحمل وزن خياراتي. هذا ليس ضعفاً. هذا عودة إنسانيتك.

تأمل

أي ألم ما زلت أتجنبه؟
ماذا يعني مواجهته مع الحفاظ على الأمل؟
ما الشعور الصغير الذي يمكنني الشعور به بعمق اليوم؟

الأساس الإسلامي

بكي النبي ﷺ وبكي الصحابة معه عند وفاة ابنه.
الشعور ليس ضعفاً. إنه عالمة قلب حي.

8. أتكلم بالحق من أجل الخير العام، لا لنفسي

عاقب النظام من قال الحق. تعلم كثير منّا الصمت للنجاة. عضضنا ألسنتنا، وأمأنا بالرضى رغم اعترافنا، صمتنا حين واجب الكلام. لكن الصمت لم يعد أماناً. والكلام غير الواعي ليس حرية.

فهناك فرق بين:

- الكلام لتفريح الغضب أو الإهانة أو التظاهر بالفضيلة.
- والكلام للشفاء، للتصحيح برحمة وبناء الأفضل.

سأتحدث بالحق حين يخدم الخير العام.

إن تكلمت للإذلال، أكون طاغياً. إن تكلمت للتلعيب، أكون فاسداً.

إن تكلمت بلا اعتبار للعواقب، أكون متهوراً. أما إن تكلمت للتحذير من خطر، للتصحيح خطأ، للتعليم، للشفاء، فالكلام هدية. يتطلب ذلك شجاعة وحكمة.

تأمل

هل أتكلم لبناء أم لهم؟ للشفاء أم للأذى؟
قبل الكلام، هل يمكنني التوقف وطرح الأسئلة:
هل هذا صحيح؟ هل هو ضروري؟ هل هو لطيف؟ هل فيه
مصلحة لهم؟

الأساس الإسلامي

«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ، فليقل خيراً أو ليصمت»
(رواية البخاري)

إن كان كلامي يمكن أن يجرح أو يشفى. فلأننا أختار الشفاء.

9. أنا مؤيد للبلد، لا للأسد.

لكي أكون واضحاً وصريحاً:

أنت مؤيد للأسد (شبيح) إذا رميتم القمامات في الشارع، لأنك تقول:

”هذا المكان العام لا يخصني. ليديره الآخرون.“

هذا ما قاله النظام عن سوريا: ”ليعاني الشعب، ليست مسؤليتنا.“

أنت مؤيد للأسد (شبيح) إذا رشيت، غششت، ببرت ”الجميع يفعلها“، لأنك تقول:
”القوانين لا تتطابق عليّ. مكسيبي أهم من الثقة المشتركة.“

أنت مؤيد للأسد (شبيح) إذا نشرت شائعات، خنت ثقة، رأيت مصائب الآخرين فرصة، لأنك تقول:
”البقاء أهم من الشرف. الفوز أهم من الثقة.“

أنت مؤيد للأسد (شبيح) إذا كنت خاملاً، متظاهراً بأن القسوة الصغيرة لا تهم، لأنك تسمح لمنطق
الطاغية أن يعيش: ”ما أهمية ذلك؟ لن يتغير شيء.“

لكنك مؤيد للبلد إذا اخترت خلاف ذلك، حتى لو كلفك ذلك.

أن تمشي خطوات إضافية بدل إعاقة سير الآخرين.

أن تحمل قمامتك للمنزل. بدل أن ترميها في الشارع أو الحديقة.

أن تدفع حقك بصدق. أن تحافظ على وعدك. أن تشعر بالله جار وتبالي.

أن تتكلم بالحق برحمة. أن تحسن بعملك. أن ترفض الخدر.

هذا ليس سذاجة. إنه أمر صعب. لكنه نابع من ديننا و ما تتطلبه الحرية الحقيقة.

تأمل

في خياراتي الصغيرة اليوم. ركنت سيارتي، ما قلت و ما
فعلت بلا مراقبة.
أي جانب اخترت؟ مؤيداً للأسد أم للبلد؟

الأساس الإسلامي

”المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف“ (مسلم)
القوة ليست سيطرة. القوة أن تفعل الصواب حين يكون الخطأ
أسهل. أن تكون لطيفاً حين يمكنك أن تكون قاسياً.

10. أتعلم مجدداً، رغم خوفي

لقد فعلناها هكذا دائمًا (من يوم يومنا منعمل هيك) واحدة من أخطر الحُّمل في سوريا.
ستون عاماً تعلمنا الخطأ. مدارسنا علمتنا الطاعة لا التفكير. الحفظ لا الفهم. مجتمعنا علمنا القبول لا التساؤل.
الطرق القيمة حملت سموم الخوف. فلن أدفع عنها مجرد الألفة.

التعلم الجديد يحتاج تواضعاً. الاعتراف بـ: كنت مخطئاً. لم أكن أعلم. أستطيع أن أفعل/أكون أفضل.
هذا صعب، يبدو كالعار، لكنه حرية. كل معرفة جديدة تجعلك أكثر حرية.
يمكن هو أصغر منك أن يعلمك شيئاً مفيداً. يمكن لشخص من خلفية مختلفة أن يظهر طريقاً أفضل.
كتاب، حديث، تجربة، كلها دعوات للنمو.
هل سأقبلها؟ أم سأتمسك بما أعرف حتى لو كنت مخطئاً، مفضلاً الألفة على الحق؟

أخي، أختي، سوريا القديمة ماتت.
نحن سنبني شيئاً لم يكن موجوداً في ذاكرتنا الحديثة.
أمة يفك الناس فيها بأنفسهم، يمكن مُسألة/مراجعة الطرق القديمة في التفكير، و يكون التعلم مستمراً. سوريا التي نضاهي بها
ما سمعناه عن خيرها من أجدادنا و كل من زارها عبر التاريخ.

الأمر مرعب وجميل بآن واحد. سأكون شجاعاً للتغيير. سأكون متواضعاً للتعلم.

تأمل

ما الذي أدفع عنه مجرد أنه "هكذا كان دائمًا"؟
أي معتقد أو ممارسة مستعد للتشكيك بها؟
ماذا أخاف أن أتعلم فأغير و أتغير؟

الأساس الإسلامي

«طلب العلم فريضة على كل مسلم» (الترمذى)
ما يدل على أن التعلم ليس مقصوراً على مرحلة معينة من
الحياة، بل هو مسؤولية مستمرة

11. أبني الثقة، تفاعلاً تلو الآخر

ازدهر النظام لأننا لم نثق ببعضنا. خلق جوًّا من الشك والخيانة والخوف. حتى العائلات انقسمت.
تعلمنا: لا تثق بأحد. الجميع جاسوس محتمل للنظام. نسجن أنفسنا بجدران من صنعنا.
لا زلنا نحمل الجرح. أراه في تفاعلاتنا.
جاهزون للانزعاج، نتصور الأسوأ، نحسب حسابات الماضي.
لا نؤمن بآن الناس قادرون على التغيير.

لكن الثقة ليست سذاجة. إنها أساس كل ما يجعل الحياة جديرة بالعيش.
بدون ثقة، لا صداقة، لا مجتمع، لا عمل، لا تعاون، لا مستقبل.
مجتمع من البشر المعزولين والخائفين لا يمكن أن يبني شيئاً.
سأكون جديراً بالثقة. سأقفي بوعدي، حتى لو كلفني ذلك.
أرى الجبار حلفاء، لا منافسين.
أمنح الناس ثقة مبدئية. أمد يدي أولاً.
أؤمن بآن التغيير ممكناً.

ليست هذه سذاجة. إنها فهم: الثقة تبدأ بي.
إن غششت أو كذبت أو تصرفت بأنانية، لماذا سيثق بي الناس؟
لكن إن كنت صادقاً، أميناً، حريصاً على مصلحة الآخرين، تنمو الثقة.
شخصاً شخصاً و علاقة علاقه . نعيid بناء ما دمره النظام البائد من ثقة مجتمعية.

تأمل

من عَشَّشْتُ حتى ولو قليلاً؟
من آذيت بعدم الوفاء بوعدي؟
هل أستطيع أن أبدأ بإصلاح الثقة؟
لمن سأكون جديراً بالثقة اليوم؟

الأساس الإسلامي

«احفظ الله تجده أمامك ، تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في
الشدة، واعلم أن ما أخطئك لم يكن ليصيبك ، وما أصابك لم
يكن ليخطئك ، واعلم أن النصر مع الصبر ، وأن الفرج مع
الكرb ، وأن مع العسر يسراً» (أحمد)

12. أعلم أن الحرية لم تكتمل بعد

سقوط الأسد كان سريعاً. لكن ليقظتنا طريق طويل.

ستكون هناك أيام أعود فيها لعادات قديمة. لحظات ألقى فيها القمامه، أُبرر رشوة، أُوذى من لا يقدر على الرد.

ستكون هناك انتكاسات. أشخاص يختارون الخدر بدل اليقظة.

أنظمة تقاوم التغيير. لكنني لست وحدي.

ملايين السوريين يستيقظون معي.

نبني شيئاً لم يوجد في ذاكرتنا الحديثة: مجتمع يخصنا جميعاً، حيث كرامة كل شخص مهمة،

حيث الثقة ممكنة، حيث ينمو طفل بلا خوف. هذا يستحق النضال، و يستحق الانتكاسات.

و يستحق صعوبة التعلم من جديد.

العمل لم ينته، بل بالكاف بدأ.

لكننا عبرنا أصعب عائق: كسرنا السلسل. الآن نختار من نريد أن نكون.

الأساس الإسلامي:

تأمل

ما الدور الذي أختاره في هذه اليقظة؟

هل أنا قائد، داعم، معالج، معلم؟

ما عطائي لسوريا الجديدة؟

الأساس الإسلامي

«إيّاكم ومحقرات الذنوب فإنّهن يجتمعن على الرجل حتى

يهلّكنه» (أحمد)

«سُئلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيُّ الْأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟

قَالَ: أَدُومُهَا وَإِنْ قُلْ» (البخاري)

لستنا نبحث عن الكمال، بل عن الاستمرارية.

شخص واحد يختار الصواب، ثم آخر، ثم آخر... حتى يتغير

الكل.

الالتزام الختامي

لقد انتهى الانتظار للحصول على إذن لا تكون صالحة.

انتهى لوم العالم على قسوة قلبي.

انتهى التظاهر بأن فسادي الخاص منفصل عن ألمنا العام.

انتهى التدخين في الأماكن المغلقة واعتباره حرية.

انتهى الركن بتهر واعتباره حقي.

انتهى الخدر واعتباره بقاء.

اختار أن أنهض.

اختار أن أتعلم من جديد.

اختار أن أشعر مرة أخرى.

اختار أن أرى كرامة جاري في معاملتي له.

اختار أن أكون أميناً، لا تابعاً.

اختار الكلام بالحق للخير العام.

اختار قتل الشائعات ودرء الفتنة.

اختار أن أساهم في الحلول لا في المشاكل.

اختار أن أكون ابن بلد بار.

وأبني أمة يعرف فيها أحفادى معنى الحرية الحقيقى:

ليس فقط الحرية من الطاغية، بل الحرية لأن نصبح ما كنا دائمًا مقدرين أن نكونه. قال رسول الله (فإنها خيرة الله من أرضه يجتبى

إليها خيرته من عباده).

هذه ليست سذاجة. و ليست ضعفًا.

بل إنه أهم شيء سنقوم به على الإطلاق. سنفعله معًا بإذن الله.

﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَافِرًا يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾ (نوح: 10-11)

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ مُغَنِّمًا وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ (الأنفال: 33)

لا تنسونا بدعائكم.

وفقنا الله و سدد خطانا لما يرضاه

أبو فراس

اللهم عرفنا نعمك بدعواها لا بزوالها